نظرية الوحدة الموضوعية

د. محمد حسام ياسين سكاف*

سلم البحث في ١٤٤٠/١٢/٢٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/٢/٢٣هـ

ملخص البحث:

يختلف منهج التفسير الموضوعي عن غيره من مناهج التفسير التحليلي أو الإجمالي أو المقارن، فهو يعتمد على الموضوعات القرآنية، والمعاني والإشارات الدقيقة، والتدبر في آيات القرآن الكريم بعمق وأفق أوسع، وتذوق للبيان والأسلوب الرصين، فإن الله تعالى يفتح على عبده أبواب معرفته بحيث يقف على أسرار كتابه، واستنباط العلاقة بين آياته وسوره، وربط قضاياه بعضها ببعض، ثم إخراج هذه المعاني في قالب متناسق مترابط متصل مثل عقد فريد من الجوهر، يبرز وجهاً من وجوه التفرد والترتيب والتنسيق المعجز.

ويعد مفهوم "الوحدة الموضوعية" من أهم القضايا التي يحتاج الباحث في التفسير الموضوعي إلى إدراك ماهيته، وفهم سر كينونته في السور القرآنية، خاصة مع اختلاف الباحثين في وضع مفهوم واضح متفق عليه لهذا المصطلح. ولذلك بينت في المبحث الأول مفهوم التفسير الموضوعي، وأهم ما يتعلق بالوحدة الموضوعية من مصطلحات وهي: الوحدانية، والترتيب، والمناسبة، وخلصت إلى المعنى المختار لما أسميته: نظرية الوحدة الموضوعية. وفي المبحث الثاني أكدت على أن القرآن الكريم وحدة منتظمة، وأظهرت حقيقة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، من خلال القضايا في السورة القرآنية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة. وخلصت إلى نتيجة مفادها: أن نظرية الوحدة الموضوعية، وهو القسم الهام من منهج التفسير الموضوعي، وهو القسم المشكل فيه عند العلماء؛ حقيقة في السورة القرآنية، فالوحدانية والترتيب والتناسب من أهم مميزات النص القرآني، والذي من خلال هذه المصطلحات تبرز بجلاء معالم الوحدة الموضوعية في النصوص القرآنية.

Theoretical Unity Theory:

Objective interpretation is different from other analytical, aggregate or comparative approaches، it relies on Qur'anic themes, meanings and precise references, reflection in the verses of the Qur'an with a deeper and broader horizon, and a taste for the statement and sober style, Allah opens the doors of knowledge so that Allah stands on the secrets of the Book, and devise the relationship between the verses and surah, and link the issues to

* حاصل على دكتوراه في الدراسات الإسلامية، وعضو هيئة تدريس بالجامعة الإسلامية، بمنيسوتا.

each other, and then output these meanings in a coherent and consistent template such as a unique contract of essence, emerges a facet of uniqueness, arrangement and miraculous coordination.
The concept of "substantive unity" is considered one of the most important issues that the researcher needs in the objective interpretation to understand what it is, and to understand the mystery of its existence in the Quranic surahs, especially with the difference of researchers in the development of a clear and agreed upon the term.
Therefore, in the first section I explained the concept of objective interpretation, and the most important thing related to the unity of the substantive terms: Oneness, arrangement and occasion, and concluded to the chosen meaning of what I called: the theory of objective unity.
In the second section, I emphasized that the Holy Qur'an is a regular unit and showed the reality of the objective unity in the Qur'anic Surah through the issues in the Qur'anic Surah and its relationship to the substantive unity of the Qur'an.
I concluded that the theory of objective unity, which is an important part of the methodology of objective interpretation, which is the section formed by scientists; truth in the Koranic Surah, oneness, arrangement and proportionality of the most important characteristics of the Koranic text, which through these terms clearly highlights the features of substantive unity in Quranic texts.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين هداية ونوراً، وذكرى لأولي الألباب، فيه من العلوم والحكم ما يعجز العرب والعجم، وسبحان من جعله أعظم الكتب قدراً وأغزرها علماً وأعذبها نظماً وأبلغها في الخطاب؛ قرآناً عربياً غير ذي عوج. وبعد: فإن علم تفسير كتاب الله تعالى بحر زاخر، لا يدرك له من قرار، وجبل شامخ لا يسلك إلى قمته، ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه، ولم يبلغ إلى ذلك وصولاً ومن رام الوصول إلى إحصائه، وهو الذي جاء في ثناياه وبين طياته قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

هذا ويختلف منهج التفسير الموضوعي عن غيره من مناهج التفسير التحليلي أو الإجمالي أو المقارن، فهو يعتمد على الموضوعات القرآنية، والمعاني والإشارات الدقيقة، والتدبر في آيات القرآن الكريم بعمق وأفق أوسع، وتذوق للبيان والأسلوب الرصين، فإن الله تعالى يفتح على عبده أبواب معرفته بحيث يقف على أسرار كتابه، واستنباط العلاقة بين آياته وسوره، وربط قضاياه بعضها ببعض، ثم إخراج هذه المعاني في قالب متناسق مترابط متصل مثل عقد فريد من الجوهر، يبرز وجهاً من وجوه التفرد والترتيب والتنسيق المعجز.

يعد مفهوم "**الوحدة الموضوعية**" من أهم القضايا التي يحتاج الباحث في التفسير الموضوعي إلى إدراك ماهيته، وفهم سر كينونته في السور القرآنية، خاصة مع اختلاف الباحثين في وضع مفهوم واضح متفق عليه لهذا المصطلح. ولذلك أضع في هذا البحث مفهوماً، كما أراه، لنظرية الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، منطلقاً من نقاط الاتفاق بين أقوال العلماء في مفهوم الوحدة الموضوعية، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى، راجياً منه حسن الجزاء.

خطة البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: مدخل إلى البحث.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: الوحدانية والترتيب والمناسبة.

المطلب الثالث: نظرية الوحدة الموضوعية.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

المطلب الأول: القرآن الكريم وحدة منتظمة.

المطلب الثاني: حقيقة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

المطلب الثالث: قضايا السورة القرآنية والوحدة الموضوعية.

الخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث.

المبحث الأول
مدخل إلى البحث
المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي:

بعيداً عن فكرة "الموضوعية" بالمعنى الفلسفي المعروف، والذي يعتريه كثير من الغموض والإبهام، الذي أدى بالمفسرين حديثاً إلى تسمية بعض جوانب التفسير "بالتفسير الموضوعي"، وليس هو إلا جانب من جوانب التفسير التحليلي للنصوص. بالإضافة إلى أن "الموضوعية" غالباً ما تكون صفة للخطة أو الأسلوب المتبع في دراسة ما من أجل البعد بها عن النوازع الشخصية، أو الأفكار المحيطة بها مسبقاً[١].

أما الذي نريده من "الموضوعية" هنا هو ما يتعلق بالقضايا الحياتية، كالعقيدة واللغة والسياسة والاجتماع .... إذن: الموضوع قضية ما نحتاج إلى الكشف عن ملابساتها، وبيان غموضها.

أما مصطلح "**التفسير الموضوعي**" وبعد أن أصبح لوناً من ألوان التفسير

المعروفة، فقد تعددت تعاريف العلماء المعاصرين له[٢]:

– **التفسير الموضوعي:** هو جمع الآيات المتفرقة من سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

– وقيل: هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع[٣].

– وقيل: هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة، أو سور متعددة.

– وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

– وقيل: هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية مع الربط بينها لخدمة الموضوع الذي وردت فيه[٤].

من خلال النظر في مجمل هذه التعاريف، أجد أنها ترجع إلى تعريف مشترك، لكن بعضها غلب عليه طابع الشرح لمنهج البحث في التفسير الموضوعي، وبعضها أشار إلى نوعي التفسير الموضوعي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والتفسير الموضوعي لسورة قرآنية.

وأجد أقرب ما يعبر عن التفسير الموضوعي التعريف التالي: فهو "علم يتناول موضوعاً قرآنياً في سورة أو سور، حسب المقاصد والقواعد القرآنية من خلال الضوابط المنهجية الأصولية".

المطلب الثاني: الوحدانية والترتيب والمناسبة

لا بد بادئ ذي بدء من بيان مفاهيم مدلولات المصطلحات "الوحدانية والترتيب والمناسبة"، قبل التفصيل في العلاقة بينها؛ الذي يعد أساسا ثابتاً في كتاب الله تعالى.

أولاً: الوحدانية:

جاء في لسان العرب: "فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأَحد منفرد بالمعنى وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأُ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل"[٥] .

والمراد هنا "بالوحدانية" قريب من المعنى اللغوي آنف الذكر، غير أن الكلام

يخص صفة كلام الله تعالى، الموصوف بالوحدانية، وهو الشخصية المميزة لكل سورة من سور القرآن الكريم. "فإنك ترى في السورة الواحدة مطالب شتى، ولا تعلم ما هو العمود الذي سيق إليه المعاني، ولن تهتدي إلى معرفة اتصال الكلام بعضها ببعض، دون معرفتك بمساق الكلام، والوجهة التي تسلك إليها أجزاؤه، حتى تراها منظومة في سلك واحد. وبالجملة فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها التي صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها، ذات عمود تجري إليه أجزاؤها"(٦) .

فلو أننا أخذنا كل سورة من سور القرآن الكريم على حده، طويلها أو قصيرها على حد سواء، لوجدناها وحدة متكاملة، لها مقدمة ثم شرح لموضوع أو عدة مواضيع ذات صلة، وخاتمة مناسبة، وهذه عناصر الموضوع المتكامل المعروفة عند أهل فن التأليف والنثر.

لكن هل يمكن أن نطلق "الوحدانية" على كل نص اتصف بمقدمة وعرض وخاتمة؟ وهل ينبغي لكل سورة من هذه العناصر؟

وبما أن النص من عمل البشر فتبقى وحدانيته ناقصة وقاصرة، وارتباطه غير مكتمل، مع حسن ما يوصف من سبك إذا ما قورن مع غيره من كلام البشر الآخرين، وليس من مقارنة مع كلام الله تعالى، فلو فرضنا جدلاً أننا أعطينا عناصر سورة من القرآن الكريم، لأفضل أديب فصيح، لعجز عن إخراج النص كما هو في أقصر سورة من سور القرآن الكريم، الذي أنزله العليم الخبير، ولذلك كان التحدي على الإتيان بمثله صارخاً، غير مداهن، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

لكن أيضاً أننا لو تمعنا في سور القرآن الكريم، لم نجد موضوعاً مكتملاً في سورة واحدة من سوره، بل ربما احتجنا إلى إضافات من السنة المطهرة ليكتمل الموضوع، فأي وحدانية في ذلك؟ وأي تميز أو تفرد في هذا الوصف؟ فمع كثرة ذكر " الصلاة" في القرآن الكريم، أو "الزكاة"، لم يكتمل موضوعها فيه، فكم عدد ركعاتها في القرآن؟ وكم هو مقدار الأنصبة لصنوف الزكاة؟ كل ذلك لم يذكره القرآن الكريم.

فهذه سورة الطلاق، واسمها يدل أن موضوعها الطلاق وما يتعلق به، إلا أننا لا نجد كل ما يتعلق بالطلاق فيها، فأين تفصيل عدة المطلقات؟ وما هو مآل مهر المطلقة؟ وأين بيان الولاية في الطلاق؟ وما هو حكم تعدد الطلاق؟ وما هو حكم تعليق الطلاق؟ وغير ذلك من محاور موضوع الطلاق؟

فهل هذا كله يطعن في وحدانية القرآن الكريم؟ في سوره أو في موضوعاته.

في الحقيقة كل ذلك دليل على وحدانية وتميز وتفرد القرآن الكريم، وليس دليلاً على عكسه، إذ إن معنى الوحدانية هو التميز والتفرد في إخراج السورة موافقة للغرض الذي سيقت إليه، أو لأجزاء الموضوع الذي جاء القرآن ليؤكد عليه. فما حاجة ذكر عدد ركعات الصلاة في القرآن، والنبي ﷺ يصلي أمامهم! وما حاجة ذكر تفصيل مناسك الحج في القرآن، وهم يرون النبي ﷺ يحج معهم ويعلمهم مناسكهم!

أما عن سورة الطلاق، فقد وَهِم كثيرٌ من ظن أنها ذكر لموضوع الطلاق، فصحيح أنها ذكرت بعض أحكام الطلاق، خاصة التي لم تذكر في غير موضع من القرآن الكريم، غير أنها جاءت لتؤكد ضرورة العمل بأحكام الطلاق، و" تهيئة النفس لتقبلها والامتثال لها"[٧]، ولجميع الأحكام التي ذكرت فيها أو التي ذكرت في غير موضع أو التي قررتها السنة أو حتى ما قرره الاجتهاد الفقهي بعد ذلك.

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: "للقرآن طريقة فريدة معجزة في التعبير، في آيات السورة الواحدة، وفي مختلف السور المكية والمدنية على السواء[٨].

إذن: الوحدانية: هي التفرد والتميز في إخراج السورة القرآنية، أو الموضوع القرآني المنتشر بين طيات سوره.

ثانياً: الترتيب:

جاء في لسان العرب: "رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رتُوباً وتَرَتَّبَ ثبت فلم يتحرّك".[٩]

فيما يتعلق بالنصوص النثرية فالترتيب يعني إخراج النص على رتم معين، هذا الرتم يُعَيِّنهُ الناظم نفسه، ويصطلح على ذلك الترتيب، وهنا تبرز براعة الكاتب في ترتيب موضوعه وتنسيقه وتقسيمه، فإنه عندما يجمع ما يريد جمعه من معلومات يحتاج إلى ترتيبها في نسق معين، ولا يقذفها هكذا من غير ترتيب، فيجعل الأبواب والفصول والمباحث و...، حتى ضمن أصغر نقطة من المبحث يحتاج إلى التسلسل في سرد الأفكار والقضايا ضمن ترتيب معين. وكلما كان الترتيب أحسن كلما اتضحت الفكرة بشكل أبسط، وكان النظم أكثر بلاغة، وأفهم للقارئ.

وإذا ما كان الكلام يخص النظم القرآني، فهذا يقودنا أولاً إلى معرفة من هو المتكفل في ترتيب الآيات القرآنية، والسور في المصحف الشريف.

يختلف ترتيب القرآن الكريم في النزول، عن ترتيبه في المصحف اختلافاً كبيراً، وهذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين. "فهو في ترتيبه

النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة، ليكون هداية للمؤمنين"(١٠).

ترتيب آيات لقرآن الكريم:

ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي، وبأمر رسول الله ﷺ وكانت الآيات تتنزل عليه، ويأمر كُتَّاب الوحي بوضعها في مكانها من السور، "وقد ترادفت النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفيا"(١١)، ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء منهم: الزركشي، حيث قال: "فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه. وقال مكي: "ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل، هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة، تركت بلا بسملة. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا"(١٢).

ترتيب سور القرآن الكريم:

إذا كان الإجماع قد تحقق حول ترتيب الآيات، فهو لم يتحقق حول ترتيب سور القرآن على ما هي عليه في المصحف الآن، واختلفت أقوال العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

ترتيب السور في المصحف كان باجتهاد الصحابة: وهو قول جمهور العلماء، ومنهم الإمام مالك.

القول الثاني:

ترتيب السور توقيفي: إن الصحابة ﷺ لما خافوا ذهاب بعض القرآن باستشهاد حفظته في فتوحاتهم، جمعوه، وكتبوه، كما سمعوه من النبي ﷺ، ولم يقدموا أو يؤخروا شيئاً، واقتصر عملهم على جمع القرآن في موضع واحد، دون التعرض لترتيب سوره، إلا وفق ما سمعوه من رسول الله ﷺ، على هذا النسق والترتيب(١٣) .

القول الثالث:

ترتيب السور كان بعضه بالتوقيف، وبعضه الآخر باجتهاد الصحابة: ذهب البيهقي وابن عطية إلى أن القرآن كان على عهد النبي ﷺ توقيفي إلا الأنفال وبراءة، فإن ترتيبهما باجتهاد من عثمان ﷺ ووافقه عليه الصحابة.

والقول الراجح عندي هو أن ترتيب السور في المصحف توقيفي لاعتبارات يطول شرحها هنا.

ثالثاً: المناسبة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب، سمي لاتصاله، والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض(١٤). وقال في لسان العرب: وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة (١٥).

"المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه"(١٦).

إذن: فالمناسبة في اللغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمشاكلة.

أما **في الاصطلاح:** "فهي الرابطة بين الشيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"(١٧).

"المناسبة أمر معقول؛ إذا عُرِضَ على العقول تلقته بالقبول"(١٨).

فإذا أمعنا النظر، سنجد توافقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الذي نقله العلماء للمناسبة، وهذا يدل على الترابط بين الآية وأختها المجاورة لها، وبين السورة والسورة المجاورة لها، غير أن هذا لا يعني آبداً أن تكون الآيتان أو السورتان متماثلتين كل التماثل، لكن المهم أن بينهما تقارباً ما، أو رابطاً ما يربط بينهما، سواء توصل إليه العلماء أم لم يتوصلوا، فقد تظهر أحياناً وتخفى أخرى، ومرجع ذلك إلى اختلاف الأفهام.

لكن ينبغي التنبه إلى عدم التكلف والتنطع في الوصول إلى روابط وهمية، غير حقيقية، يتنزه العالم عن أن يوقع نفسه في مهالك القول بالرأي المذموم في كتاب الله تعالى، الأمر الذي جعل كثيراً من العلماء يرفضون هذا العلم من أصله، ويعدونه من العلم المتكلف والفن الذي لا يعود بفائدة ترجى في كتاب الله تعالى.

وهذا ما نبه إليه السيوطي في الإتقان: "إن ربط آيات القرآن على ترتيب نزوله تكلف لا يليق، إذ إنه يشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره،

"فإذا وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك"(١٩).

أنواع المناسبات القرآنية:

الصحيح أن آيات السورة القرآنية الواحدة، لابد من رابط يربط بينها، وهو وجه المناسبة، وبخاصة حال إجماع الأمة على القول بتوقيف ترتيب الآيات في السور، فإن السورة لا بد أن تبحث موضوعاً واحداً (حال السور القصيرة)، أو عدة مواضيع (حال السور الطويلة)، وفي كل الأحول هناك وجه تناسب في الموضوع الواحد، أو في المواضيع المتعددة.

"ومعرفة هذا الرابط يدق أحياناً وبخاصة في الآيات التي يفصل بين نزولها فترات زمنية متباعدة، أن تكون الموضوعات متباينة في نظر القارئ، أو في حال ظهور جملة مستقلة عن الأخرى في الآية الواحدة أو تظهر الآيات المتشابهة في السورة الواحدة وكأنها مستقلة عما قبلها وما بعدها، عند ذلك يأتي دور الغواصين على المعاني لمعرفة الرابط والمناسبة بين الآيات"(٢٠).

ومن أنواع المناسبات في السورة الواحدة:

المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة، والمناسبة بين آيات السورة الواحدة، ومناسبة فواتح السور لخواتمها، والمناسبات بين السور المختلفة، والمناسبة بين أول السورة وخاتمة السورة التي قبلها، ومناسبة مضمون كل سورة لما قبلها.

المطلب الثالث: نظرية الوحدة الموضوعية

إن اختلاف المفسرين قديماً وحديثاً، في مفهوم " الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم"، وعدم تقديم رؤية مشتركة لهذا المفهوم، بل إنكار البعض لها أصلاً، دعاني لأن أنعتها "**بالنظرية**".

فكثير من علماء التفسير يقصد بـ"الوحدة الموضوعية للسورة:" أن لكل سورة من القرآن موضوعاً(٢١)، أو موضوعات غالبة عليها، وسمات بارزة فيها، فقد تتعدد موضوعاتها، إلا أن هناك وشائجَ تربط بين هذه الموضوعات، وهناك روحاً تسري فيما تثيره السورة من أحكام ومبادئ، وما تذكره من قصص ومشاهد، فالسورة كالسور تحيط بموضوعاتها إحاطة السوار بالمعصم.

ويرى الدكتور محمد عبد الله دراز: أن السورة من القرآن الكريم تتكون من مقدمة وموضوع وخاتمة، وهو بذلك يجعلها كأي موضوع من المواضيع، يبدأ

بالمقدمة، ثم ينتقل إلى عرض الموضوع، ثم يختم بما يناسب: " ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحدداً يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك بالتدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، إنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"(٢٢).

وقد تعني الوحدة الموضوعية الأهداف والمقاصد للسورة، فقط اشتملت كل سورة من القرآن على غرض أو أغراض متنوعة، وبينها من الترابط والتناسق ما يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً(٢٣).

ويبدو أن ابن القيم صاحب السبق في هذا المجال، من خلال تفسيره "التفسير القيم"(٢٤)، حيث كان يبرز الوحدة الموضوعية للسورة، التي من شأنها خدمة أهداف السورة العامة التي نزلت لتبيانها.

أما البقاعي فقد جعل من وحدة السورة جزءاً من علم المناسبة، وفي هذا المعنى يقول: "إن الأمر الكلي الذي يفيد معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أن تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة"(٢٥). بينما يرى غيره أن الوحدة الموضوعية للسورة لا تظهر إلا بمناسباتها، ومعرفة وجوه الترابط بين أجزائها: "فالنظر إلى ما بين الآيات من وشائج ومناسبات يفرز موضوعها وغرضها الكلي الذي سيقت له، فهذا الغرض أمر ناتج ومنبثق من ترابط آيات السورة لا يملى على السورة إملاءً أو ينتزع منها انتزاعاً"(٢٦).

الرؤية المختارة للوحدة الموضوعية:

أما إنكار أصل وجود نوع من الترابط بين أجزاء أو سور القرآن الكريم، فهذا لا يقول به أحد، حتى الذين أنكروا الوحدة الموضوعية؛ لم ينكروا وجود نوع من الترابط، لكنهم أنكروا مفهوم الترابط كما أظهره بعض العلماء باسم الوحدة الموضوعية.

والقول بأن لكل سورة من القرآن موضوعاً، يسير بها من أولها إلى آخرها، ولا يتعدى إلى غيره من موضوعات أو أوامر أو نواه أو توجيه أو...، فهذا أيضاً غير مسلم به، وهو مخالف لما عليه النظم القرآني، حيث أكثر سور القرآن الكريم تتعدد الأغراض منها، وتتداخل موضوعاتها أحياناً، وتتفرق في السور أحياناً أخرى، وتحتاج إلى تدخل السنة المطهرة في الكثير من موضوعاتها، حيث لا يكتمل الموضوع إلا

بإضافات السنة له.

وأما القول بأن الوحدة الموضوعية هي الأهداف والمقاصد للسورة، فهذا ليس سوى تسمية المقاصد القرآنية بالوحدة الموضوعية، وهذا لا يستقيم، وما فعله ابن القيم في تفسيره القيم، فهو إبراز لبعض الترابط بين أجزاء قرآنية من خلال الأهداف والمقاصد في السور القرآنية ليس إلا.

أما المعنى الذي أراه للوحدة الموضوعية، فهو: كمال التلازم بين الوحدانية والترتيب والتناسب التي تحدثت عنها سابقاً. فإذا كان الكلام بشكل عام يختلف ويتفاوت من حيث وحدانيته وترتيبه ومناسبته كما يقول الفراهي[٢٧]، وكلما كان هذا التفاوت والاختلاف أقل، كانت الجودة في النظم أفضل، وإذا راعى المؤلف وحدانية النص؛ في أبوابه وفصوله ومباحثه وفقراته، وإذا أحسن الترتيب في تقديم الأبواب والفصول و... بعضها على بعض، وإذا جعل التناسب في أجزاء الكلام، عندها يمكن القول بأن هذا المؤلَّف حسن في النظم والتأليف، ذو وحدة موضوعية.

يقول الفراهي: "وبالجملة فلابد لحسن النظام من أن يكون الكلام: حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوحدانية"[٢٨] .

فإذا كان الحديث عن النظم القرآني، فهذه المصطلحات (الوحدانية، الترتيب، المناسبة) لابد محققة ومتلازمة في جميع أجزائه وسوره وفقراته وآياته وحتى في تراكيبه، فإن خفي شيء منها أو أشكل فهمه، فهو من قصور البشر، وليس من ضعف النظم الإلهي، فهو تنزيل الحكيم الخبير، ولا بد من أن يستعمل المفسر هذا المفهوم للوحدة الموضوعية، دون تكلف ولا اجتراء، من أجل فهم النص القرآني، وهذا هو الهدف الذي يسعى إلى تحصيله أصحاب القول بوضع منهجية صحيحة للتفسير أسموها " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم".

وبالتالي فإن منهج الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، يكون من خلال إبراز هذا التلازم بتفصيلاته الجزئية، كما يلي:

أولاً: مدخل إلى السورة.

ثانياً: قضايا السورة، ومواضيع القضايا ومناسباتها وترتيبها.

ثالثاً: محور السورة الرئيسي "عمود السورة".

رابعاً: ارتباط محاور السورة بعمودها.

المبحث الثاني
الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية
المطلب الأول: القرآن الكريم وحدة منتظمة

ترتكز هذه الفكرة على التلازم بين العناصر الثلاثة المؤلفة للوحدة الموضوعية، كما أسلفنا الذكر، وهي (الوحدانية والترتيب والمناسبة)، فالقرآن الكريم لا يسلك طريقة المؤلفين في عرض موضوعاته، والمصنفين من البشر يسلكون الطرق العلمية المعروفة في ترتيب أبحاثهم، يبدؤون بالمقدمة ثم يعرضون الأفكار المراد عرضها بطريقة معينة، ثم يختمون بما يناسب البحث المطروح، وربما لو أعطينا المادة القرآنية إلى بعض المؤلفين، وطلبنا منه أن يخرجها لنا في سور متعددة، لبدأ بسورة سماها سورة "المقدمة" ثم عرض سوراً متتابعة، ربما بدأ بسورة " العقيدة" ثم سورة "الإيمان" ثم سورة "الأحكام ثم سورة... ثم سورة "الخاتمة". أو ربما أخرجها بترتيب آخر يراه مناسباً، لا يبتعد كثيراً عن المنهج المتبع عند المصنفين.

إلا أن القرآن الكريم يطرح موضوعاته وأغراضه بطريقة مختلفة كلياً، لا يمكن لأحد سلوك طريقها، حتى بعد معاينة طريقة القرآن الكريم وطول مدارسته، فهي طريقة فريدة ومعجزة، ومن هنا كان تحدي القرآن لبلغاء البشر على أن يأتوا بمثله. "أما الموضوع الواحد فإن القرآن يعرضه في عدة سور، ويفرقه في آياتها (تفريقاً حكيماً) يحقق الوحدة الموضوعية المعجزة للسورة، ويكمل الوحدة الموضوعية للقرآن كله"[٢٩]. وهو من قبيل ما أجمع عليه أهل التأويل من السلف والخلف على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، "فإن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[٣٠].

المطلب الثاني: حقيقة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية

تحدث كثير من العلماء عن السورة القرآنية؛ عن نظمها، عن ترتيبها، عن نسقها، عن قضاياها، عن تناسبها، عن ترابطها، عن...، بل منهم من وضع النظريات والمناهج في كيفية دراستها، وسبر أعماقها، واستخراج كنوزها، بغية الوصول إلى حقيقة مراد الله تعالى منها.

في الحقيقة إذا نظرنا إلى مجمل هذه النظريات والمناهج، لرأيناها تدور حول فكرة واحدة، وتتجه نحو هدف واحد، إنها فكرة الوحدة الموضوعية، رغم اختلافهم في التسميات أحياناً، أو في التوصيف أحياناً أخرى.

استخدم البعض مصطلح "الوحدة العضوية" أو الفكرية في السورة، للابتعاد

عن مفهوم الموضوع والموضوعية، فالقول بأن السورة القرآنية تعالج موضوعاً واحداً غير سائغ، بل مخالف لواقع الحال، فكثير من سور القرآن ما تتعدد فيها المواضيع، فكان اصطلاح " الوحدة العضوية" في السورة أقرب إلى المراد، فالسورة حسب رأيهم وإن تعددت مواضيعها، إلا أنها تسعى نحو هدف واحد، هو وعضوية واحدة متماسكة، كما فعل محمد عبد الله دراز في "النبأ العظيم".

يتحدث البعض عن وحدة التناسب، التي يسعى أصحاب هذه الفكرة، بالإضافة إلى معاني التناسب وأهدافه المعروفة، تسعى إلى تحقيق غاية أخرى هي الوحدة الموضوعية في السورة، واشتهر البقاعي في "نظم الدرر في تناسق الآي والسور" في إبراز مثل هذه الغاية. ويحاول البعض الآخر استخدام مصطلح" الوحدة النسقية"، لإظهار نوع من الترابط بين الآيات القرآنية، يهدف إلى إبراز المقاصد القرآنية(٣١)، وما هو إلا محاولة لإظهار، السورة في وحدة موضوعية متماسكة، وهذا ما يبدو واضحاً عند سيد قطب في "ظلال القرآن".

واستخدم العلماء أيضاً مصطلحات عديدة، كوحدة القرآن، ونظام القرآن، وإعجاز القرآن، ومقاصد القرآن، وغيرها من المصطلحات، تسعى جميعها لتحقيق الوحدة الموضوعية. ويستخدم العلماء بوضوح مصطلح" الوحدة الموضوعية"، مع اختلاف مفهومهم لهذا المصطلح، منذ ظهوره على يد محمد أحمد الخطيب المعروف "بابن شهيد ميسلون"، في كتابه "نظرة العجلان في أغراض القرآن"(٣٢)، ومن بعده محمد محمود حجازي في "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"(٣٣)، وهكذا درج إطلاق هذا المصطلح اليوم عند أكثر الباحثين في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

لكن بالمقابل فإن بعض العلماء رفض فكرة القول بالوحدة الموضوعية أصلاً، كمن جعل من فكرة التناسب تكلفاً لا يليق بالقرآن الكريم، وليس من مقصوده، أو منهم من لم يتطرق إلى فكرة الوحدة الموضوعية عند حديثه عن التفسير الموضوعي، أو منهم من جعل مفهوم الوحدة الموضوعية بديلاً عن مفهوم التفسير الموضوعي نفسه، يقول العز بن عبد السلام: المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك، يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا

يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب، كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها(٣٤).

ليس الغاية في هذا المبحث الحديث عن مفهوم الوحدة الموضوعية، ولا عن تدرجها التاريخي، لكن المطلوب هنا بيان مدى اختلاف العلماء في طرح مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وهو الذي أدى بالنتيجة إلى اعتبار البعض للوحدة الموضوعية وجعلها أساس السورة القرآنية، أو إلى النقيض من ذلك ورفضها بالكلية.

الواجب أولاً تحديد مفهوم مشترك لمصطلح" الوحدة الموضوعية" قبل إصدار الحكم، لأننا لو تتبعنا كل باحث على حده، وأخذا مفهومه للوحدة الموضوعية، وحكمه عليها، بالقبول أو الرفض على حد سواء، لكان الحكم منطقياً جداً، بل ومقنعاً.

توفيق القول بين المختلفين، أرجح من تباينه على ما أرى، وذلك بالنظر إلى الجزئيات المختلفة فيما يتعلق بأي ترابط بين آيات السورة الواحدة، ومن هنا أظن الانطلاقة، أعني البدء من المتفق عليه، فلا أحد ينكر وجود ترابط ما بين آيات القرآن الكريم، كما لا يعتقد أحد بأن آيات القرآن الكريم ليس بينها أي ترتيب، وهي عشوائية، فهذا لا يليق بالقرآن الكريم، خاصة مع الإجماع على توقيف ترتيب آيات القرآن الكريم.

ولو نظرنا بشكل أعمق، لوجدنا أن الخلاف غير ناشئ من هذه النقطة أصلاً، ولكن الخلاف ناشئ من الخلط بين أمرين في هذه القضية، علماً أن كِلا الأمرين متفق عليه في الأصل، وإنما ينشأ الخلاف عندما يُتَحَدَث عن أحدهما ويُقْصَد به الآخر، وهما: وحدة النظم، ووحدة المعنى.

أولاً: وحدة النظم:

وهو كل ما يتعلق بالنظم القرآني؛ من تفرده وتميزه عن كل ما سواه من كلام، وهو الذي قصدته سابقاً بالوحدانية، ثم ترتيبه المعجز الخلاب، بالرغم من أن ترتيبه مغاير لتسلسل نزوله.

وهذه الوحدة متفق عليها عند الجميع، وليس هناك من معترض على مثل هذه الوحدة، بل جعلت مباحث ترتيب القرآن وسوره من أهم مباحث علوم القرآن، ولا يكاد يخلو كتاب مختص بعلوم القرآن منها، بل صُنفت فيها المصنفات، وأفردت لها

المؤلفات.

ثانياً: وحدة المعنى:

وهو ما يتعلق بترتيب موضوعات القرآن الكريم، والقضايا التي عالجتها سور القرآن الكريم، وتناسب ذكرها في ترتيب عجيب وتناغم فريد، خاصة في السور الطوال، وهو المقصود بالمناسبة بين آيات السورة الواحدة، أو بين مقاطعها ومعاطفها، أو بين مقدمتها وخاتمتها..

وكذلك هذه الوحدة لا خلاف عليها، بل جُعلت المناسبة علماً مستقلاً، له أصوله وقواعده ومؤلفاته، كما فعل البقاعي والسيوطي وابن الزبير والكثير من المفسرين ضمن تفاسيرهم.

إن تكامل وحدة النظم مع وحدة المعنى؛ هو الذي يجعل من السورة القرآنية وحدة موضوعية حقيقية ومتكاملة، ولذلك لما عَرَّفت الوحدة الموضوعية، قلت: هي كمال التلازم بين الوحدانية والترتيب والتناسب، وهو المعنى المراد من وحدة النظم ووحدة المعنى بالضبط.

لكن مرة أخرى: من أين نشأ الخلاف إذا كان كلا الأمرين متفق عليه؟

إن قول القائلين بالوحدة الموضوعية في السور القرآنية: إنها تعني وجود رابطة تربط بين موضوعات السورة المتعددة المواضيع أو القضايا التي طرحتها السورة، وربما أطلقوا على هذه الرابطة " عمود السورة أو محورها الرئيسي"، وهذا هو المعنى الغالب عند إطلاق مصطلح الوحدة الموضوعية عندهم.

ربما تحقق هذا الأمر في بعض سور القرآن الكريم، لكنه غير محقق في البعض الآخر من السور، لكن عندما جُعل هذا المعنى للوحدة الموضوعية، وصار هَمُ الباحث البحث عن عمود السورة، دخل التكلف أحياناً كثيرة في تحديد هذا الرابط، مما دعى بعض العلماء إلى إنكاره، أو وصفه بالمتكلَّف.

إن القول بالمناسبة أظنه خلاف المقصود من وجود عمود تتمحور حوله السورة القرآنية، وأعني هنا جميع السور في القرآن الكريم، وإن وجوده في بعضها لا يعني تعميم القول على الكل.

إن القول بوجود عدة محاور رئيسية، مترابطة أو غير مترابطة هو الأولى، بل هو الواقع الحقيقي في القرآن الكريم، وهذه المحاور غير المترابطة لا تقدح بحسن القرآن الكريم مطلقاً نظماً ولا معنى، وإن طرح القرآن الكريم للعديد من القضايا

المتتالية لا تحتاج لرابط غير رابط التشريع ليجمع بينها، وأنها لا تعدو مواضيع يحتاجها المسلم في حياته الدينية لا يشترط ترابطها المباشر.

إن القول بهذا أفضل من التكلف للحصول على رابطة تكون في أحيان كثيرة متوهمة وغير حقيقية، أو أنها رابطة عامة مأخوذة من خصائص القرآن المكي أو المدني، وهو من الروابط العامة في الشريعة؛ الذي لا تخلو منه أي سورة من سور القرآن الكريم، بل هو المقصد العام من التنزيل، فعندما يُجعل محور السورة مثلاً فيما يتعلق بأحد أمور العقيدة: (كالإيمان بالله أو التوحيد أو الإخلاص أو...)، أو ما يتعلق بالتشريع: (كالصلاة أو الزكاة أو الجهاد أو...)، أو ما يتعلق بالأخلاق والآداب العامة والمواعظ: (كالصدق أو الحب في الله أو العفو أو...)، فهذه مقاصد القرآن الكريم لا يخرج عنها في أي سورة من سوره منفردة كانت المقاصد أو مجتمعة، ولهذا قال النبي ﷺ عن سورة الإخلاص: فيما يرويه عن أبي سعيد الخدري ﷺ؛ أن رجلا سمع رجلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"(٣٥).

وما ذاك إلا لأنها تتحدث عن واحد من هذه المقاصد العامة، ولذلك قال القرطبي: "كما صارت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن إذ القرآن توحيد، وأحكام، ووعظ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها التوحيد كله"(٣٦).

يؤكد هذا المعنى ما قاله الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، عندما تحدث عن كيفية تحديد محور السورة، قال: "فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقرير أربعة أمور: الإيمان بالله وحده، الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان بالرسالات السماوية، الدعوة إلى أمهات الأخلاق. فإذا كانت السورة مكية فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها الأساسية هذه الأسس الأربعة مجتمعة أو متفرقة. والسور المدنية بالإضافة إلى تقرير ما سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة ...، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن بعض السور يمكن أن نجد لها عدة محاور تدور حولها من غير تناقض ولا تعارض ولا تصادم"(٣٧).

لكن هذا لا يعني أبداً أن بيان تمحور الآيات في السورة حول واحد أو أكثر من هذه المقاصد العامة، وإبرازه في التفسير ليس له أهمية أو فائدة ترجى، بل على العكس من ذلك فهو بالغ الأهمية. فالموضوع الواحد في القرآن يتجه في كل موضع

باتجاه واحد من هذه المقاصد لابد من بيانه، فمثلاً:

عند النظر في بعض الآيات التي تتحدث عن موضوع " حفظ الفروج والابتعاد عن الزنى"، فإنك تجد الآية في كل موضع من مواضعها تتجه نحو المقصد العام (المحور الرئيسي) للسورة التي تنتمي إليه، وهذا ما يجب على الباحث بيانه عند الخوض في موضوع الآيات، وعزو كل آية إلى محورها في سورتها، ومن هنا تكمن أهمية بيان هذه المحاور الرئيسية أو عمودها التي تتمحور حوله آيات السور في كل سورة:

- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].
- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥].
- وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠].
- وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨].
- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٢].
- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المعارج: ٢٩].
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

"إن محور سورة الإسراء الأساسي هو ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية مثلها مثل سائر السور المكية؛ من إثبات التوحيد والرسالة، والبعث والجزاء، وإبراز شخصية الرسول ﷺ، وتأييده بالمعجزات الكافية الدالة على صدقه فيما يبلغ عن ربه سبحانه وتعالى، وتفنيد شبهات المشركين، وتحلل ذلك من المستطردات والندر والعظات ما فيه شفاء ورحمة للمؤمنين، ومن الأمثال ما فيه علم وحكم. كما تناولت الحديث عن القرآن الكريم، وإثبات أنه وحي الله تعالى....،كما أخبرت عن قصة بني إسرائيل في حالتي الإصلاح والفساد، وذكرت الأدلة الكونية على قدرة الله تعالى"[٣٨].

إذن: لا تخرج محاور السور عن هذه المقاصد الثلاثة: العقيدة والتشريع والآداب؛ فمنها يسعى نحو مقصد، ومنها يسعى نحو مقصدين، ومنها يسعى نحو الثلاثة.

المطلب الثالث: قضايا السورة القرآنية والوحدة الموضوعية:

تختلف السور القرآنية في من حيث الطول والقصر، فمنها السورة القصيرة التي تعالج موضوعاً واحداً في الغالب، لكنها لا تخرج عن هدفين أو ثلاثة[٣٩]. فسورة [الكافرون] مثلاً، وآياتها الست، تعالج موضوع إقرار التوحيد، والبراء من الشرك والكفر والضلال، ومن أعمال المشركين، والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى[٤٠].

ومنها السورة المتوسطة في الطول، ومنها السورة الطويلة، والتي تعالج كل منها عدداً من القضايا.

لكن من المفيد الإشارة إلى أن طول السورة لا يعني كثرة القضايا التي تعالجها السورة، فسورة البقرة وهي أطول سور القرآن لا تعالج عدداً كبيراً من القضايا.

يقول الطاهر بن عاشور: "ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم"[٤١].

في الحقيقة لو أننا أردنا تفسير سورة طويلة أو متوسطة الطول، تفسيراً موضوعياً، وحسب المنهجية المقترحة سابقاً، لكثرت القضايا جداً، فالمنهجية المقترحة ترشدنا إلى تقسيم السورة إلى مقاطع، وكل مقطع في الغالب يطرح قضية معينة، فسورة البقرة التي سبق القول في أنها قضيتان، يجمعها محور هو: "منهج خلافة الله في الأرض بين من أضاعوه ومن أقاموه"[٤٢]، تشتمل في الحقيقة على عدد كبير من الموضوعات، منها: هداية القرآن، والخلافة، وحديث عن بني إسرائيل والبقرة، ثم موقفهم من النبي ﷺ، ثم حديث عن دعوة إبراهيم ﷺ، كما تحدثت عن أمور فقهية؛ كالقبلة، وبعض أحكام الأسرة، والزكاة، والصلاة، وحفظ الأموال، والربا، وغير ذلك من الموضوعات التي عالجتها السورة.

فكيف يمكن توفيق القول في ذلك؟

يقودنا هذا السؤال إلى التمييز بين ثلاثة مفاهيم، هي:

١. موضوعات السورة القرآنية.
٢. قضايا السورة القرآنية.
٣. عمود السورة القرآنية.

أولاً: موضوعات السورة القرآنية:

وهو خاضع للشروط التي اشترطناها في تحديد الموضوع القرآني، وهي باختصار:

١. أن يرد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من سورة.
٢. تناول القرآن الكريم لموضوع بأكثر من أسلوب.
٣. أن يذكر الموضوع في مجالات متعددة.

والموضوعات ربما تكثر في السورة الواحدة، فسورة البقرة تشتمل على جزئيات كثيرة لمواضيع القرآن، من مواضيع العقيدة والتشريع والآداب والمواعظ والقصص و..

ثانياً: قضايا السورة القرآنية:

وهي المحاور الرئيسية للسورة، حيث يضم المحور الواحد عدداً من المواضيع التي تخدم الفكرة الرئيسية من القضية المطروحة حصرياً، ولنأخذ مثالاً على ذلك:

لنتأمل في المقطع التالي من سورة (آل عمران)، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران:١ – ٩].

يعبر هذا المقطع عن قضية هامة، ومحور رئيس في محاور مقدمة سورة [آل عمران]، فهذه إحدى المقدمات الثلاث في السورة؛ التي تقدم للحوار مع النصارى من أهل الكتاب(٤٣)، فالقضية هنا هي: "الحوار مع النصارى". وهي في الوقت نفسه تشتمل على أجزاء لعدة مواضيع من موضوعات القرآن، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١. يبدأ المقطع بذكر الحروف المقطعة (ألم)، وهو من مواضيع علوم القرآن الرئيسية.
٢. الموضوع الثاني جزء من موضوع: "وحدانية الله تعالى في القرآن الكريم"، عند ذكر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾.
٣. الموضوع الثالث جزء من موضوع: "الكتب السماوية في القرآن الكريم". عند

ذكر قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾، وكذلك تدل الآيات على مواضيع أخرى، مثل موضوع: "أدلة صدق النبي ﷺ"، أو موضوع: "هداية القرآن الكريم".

٤. موضوع آخر من موضوعات القرآن الكريم تذكره هذه القضية، وهو: موضوع: "خلق الإنسان"، ذلك عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾.

٥. جزء من موضوع جديد من أهم موضوعات علوم القرآن، تتحدث عنه هذه القضية، وهو: "المحكم والمتشابه"، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾. كما تدل الآيات على جزء من موضوع آخر، هو "أهل الزيغ في القرآن الكريم".

٦. جزء من موضوع "الدعاء في القرآن"، يدل عليه آخر المقطع، عند قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾.

كما يمكن أن تكون جزء من موضوع "يوم القيامة". هكذا نجد كم عدد الموضوعات القرآنية التي تشتمل عليها القضية الواحدة من القرآن الكريم.

ثالثاً: عمود السورة القرآنية:

يطلق مفهوم "عمود السورة" حسب اعتقادي على الرابط العام الذي يربط بين قضايا السورة المختلفة، وهذا الذي ندعوه بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

وبالرغم من أن قضايا السور في القرآن الكريم تتعدد في السورة الواحدة، إلا أن رابطاً ما يربط هذه القضايا، فلا يعقل أن القضايا مطروحة بشكل عشوائي، فالعشوائية لا تليق بنظم البشر، فكيف وهو نظم العليم الخبير؟!

إن هذا الرابط لا يخرج عن مقاصد القرآن أو أحد تفرعاته، غير أن من الأهمية بمكان معرفته؛ من أجل معرفة الوجهة التي تتجه نحوها السورة، خاصة مع تعدد قضايا السورة وموضوعاتها.

الخاتمة:

وهكذا فإن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، بأنواعه المختلفة؛ تجربة رائدة في مجال تفسير القرآن الكريم، وخطوة متقدمة في التعريف بما يشتمل عليه الكتاب العزيز.

إن نظرية الوحدة الموضوعية، وهو القسم الهام من منهج التفسير الموضوعي، وهو القسم المشكل فيه عند العلماء ولذلك بينت حقيقة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، فالوحدانية والترتيب والتناسب من أهم مميزات النص القرآني، والذي من خلال هذه المصطلحات تبرز بجلاء معالم الوحدة الموضوعية في النصوص القرآنية. وفي هذا جهد متواضع في خدمة كتاب الله تعالى، أرجو به الثواب مكن العلي القدير، واضعاً بين يدي الباحثين لبنة في أعظم بناء، وأجمل لون كتاب الله الكريم.

فإن كان العمل حسناً فذلك فضل من الله ومنة، وإن كان فيه ما لا يليق فهو من نفسي والشيطان، وأتبرأ إلى الله من قصده، شاكراً من يسدي إلي الصواب والحق فيه. ثم الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ؛ نبي الرحمة والهدى، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) مجموعة من المؤلفين، معجم علم النفس والتربية، دمشق، مجمع اللغة العربية، د.ط، ١٩٨٤، مادة (المنهج الموضوعي).

(٢) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط٧، ٢٠٠٩م، ص ١٦. وهو اختيار الدكتور زياد الدغامين في كتابه، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، عمان، دار البشير، ط١٩٩٧،١م، ص١٦.

(٣) وهو التعريف المختار للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد في كتابه، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٩٩١م، ص٢٠.

(٤) اختار هذا التعريف الدكتور: زاهر عواض الألمعي في كتابه "دراسات في التفسير الموضوعي"، الرياض مطبعة النرجس، ط١٤٢٨،٤ هـ، ص ١١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، مادة (وحد).

(٦) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، الهند، الدائرة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ، ص٧٦.

(٧) مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج٨ ص٢١٣.

(٨) صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دمشق، دار القلم، ط٤، ٢٠١٠م، ص١٤٩.
(٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة (رتب).
(١٠) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣-١٤.
(١١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،القاهرة، المطبعة السلفية، ج٨ ص١٢٥.السيوطي، والإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ج١ص ١٧٣.
(١٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١ ص٣٢٣.
(١٣) المرجع السابق، ج١ص٣٢٦-٣٢٧.
(١٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠،١هـ، مادة (ن س ب).
(١٥) ابن منظور، لسان العرب،مادة (ن س ب)، ح١ ص٧٥٥.
(١٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٦٣١.
(١٧) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨.
(١٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص٦١.هذا التعريف يشمل تقريباً أقوال العلماء في تعريف المناسبة، كالبقاعي، والسيوطي، والعز بن عبد السلام، والقاضي أبو بكر بن العربي، وغيرهم من العلماء، وحتى المعاصرين منهم.
(١٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ٦٣٠. وانظر ما نقله الشوكاني في فتح القدير عن حجج المنكرين لعلم المناسبات، عندما ابتدأ بتفسير [الآية: ٤٠] من سورة البقرة. الشوكاني، محمد علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ، ح١ ص ٧٢.
(٢٠) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص ٦٩.
(٢١) زاهر عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي، ص١٢٣.
(٢٢) محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت، دار القلم، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ١١٩. ويعني بالديباجة: المقدمة.
(٢٣) زاهر عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي، ص١٢٦.
(٢٤) انظر محمد أحمد السنباطي، منهج ابن القيم في التفسير، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٣٩٣هـ، ص٨٤. وتظهر الدراسة؛ أن أبرز المعاصرين في هذا المجال: الإمام محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد محمد المدني، والدكتور محمد عبد الله دراز، وأبو الأعلى المودودي، وغيرهم.
(٢٥) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ح١ ص ١٤٩. ويسير الدكتور محمد عبد الله دراز على هذا المنهج، في كتابه "النبأ العظيم". الذي ينتقد فيه الذين يبحثون عن المناسبات، والروابط الجزئية متجاهلين للنظام الكلي الذي وضعت السورة من أجله. [النباء العظيم، محمد عبد الله دراز، ص ١٥٨].
(٢٦) زياد خليل الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، ص١٠٣.

(٢٧) يقول عبد الحميد الفراهي: إن الكلام يتفاوت من جهة الوحدانية والمناسبة والترتيب، فيمكن أن يكون ذا وحدانية ولكن خالياً عن التناسب والترتيب. ثم يضرب مثالاً طويلاً لا يشابه القرآن في نظمه وترتيبه، إلا في آخر قسم منه، وهو بذلك يعود إلى أحد المعاني السابقة للوحدة الموضوعية؛ لأن حديثنا عن القرآن ليس غيره. [عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام ، ص٧٦].

(٢٨) الفراهي، دلائل النظام، ص٧٧.

(٢٩) صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص١٤٩.

(٣٠) ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، مقدمة في أصول التفسير، دار القرآن الكريم، ص٩٣.

(٣١) أحمد الضاوي، أثر الواقع الثقافي في أهم التفاسير الحديثة للقرآن الكريم، دار العلوم، ط١، ١٩٨٧م، ج٢ص٣٧٧.

(٣٢) محمد أحمد الخطيب، نظرة العجلان في أغراض القرآن، دمشق، المطبعة العصرية، ط١، ١٣٦٥هـ.

(٣٣) محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٧٠م.

(٣٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١ ص ٣٧.

(٣٥) أخرجه البخاري في الصحيح، دمشق، دار ابن كثير، د.ط، ١٩٩٣م.كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد.

(٣٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٦٥م، ج١ص١٦٤.

(٣٧) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٤٢.

(٣٨) مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الشارقة، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠١٠م، ج٤ ص٢١٠.

(٣٩) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٤١.

(٤٠) مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج٩ ص٤٠٥.

(٤١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص ٢٠٣.

(٤٢) مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج١ص٢٨.

(٤٣) مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج١ص٢٤٦.

فهرس المصادر والمراجع:

١.الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث.

٢.أثر الواقع الثقافي في أهم التفاسير الحديثة للقرآن الكريم، أحمد الضاوي، دار العلوم، ط١، ١٩٨٧م.

٣.البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤م.

٥.تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق، دار القلم، ط٤، ٢٠١٠م.

٦.التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ونخبة من العلماء، الشارقة، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠١٠م.
٧.تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
٨.الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٦٥م.
٩.دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر عواض الألمعي،الرياض مطبعة النرجس، ط١٤٢٨،٤ هـ.
١٠.دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، الهند، الدائرة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ.
١١.صحيح البخاري، البخاري، دمشق، دار ابن كثير، د.ط، ١٩٩٣م.
١٢.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، القاهرة، المطبعة السلفية.
١٣.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد علي، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ.
١٤.لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت.
١٥.مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دمشق، دار القلم، ط٧، ٢٠٠٩م.
١٦.المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٩٩١م.
١٧.مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، الكويت، دار القلم، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٨.معجم علم النفس والتربية، مجموعة من المؤلفين، دمشق، مجمع اللغة العربية، د.ط، ١٩٨٤.
١٩.معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ.
٢٠.منهج ابن القيم في التفسير، محمد أحمد السنباطي، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٣٩٣هـ.
٢١.منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد الدغامين، عمان، دار البشير، ط١، ١٩٩٧م.
٢٢.نظرة العجلان في أغراض القرآن، محمد أحمد الخطيب، دمشق، المطبعة العصرية، ط١، ١٣٦٥هـ.
٢٣.الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٧٠م.